فانه في غاية التوسعة على الامة عكس من قال بمنع الطهارة من ذلك الماء ومنع اكل الخبز
المخبوز بالنجاسة وان كان كل من المذهبين يرجع الى مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد
ومن ذلك قوله رضي الله عنه بطهارة الفخار الذي خلط بالنجاسة وقوله ان النار تطهر
ذلك فان ذلك في غاية التوسعة على الامة فلولا هذا القول ما كان يجوز لنا استعمال شيء
من الازيار والاباريق والشقف والزبادي والقلل والكيزان والطواجن والخوابي
ورماد النجاسة الذي يبنى به وقد بلغنا ان جميع ما ذكر لا بد من خلطه بالسرجين ليتم تماسكه
بل رايناه ذلك وشاهدناه من صانع الفخار والشقف فلولا تقليد الناس للامام
ابي حنيفة رضي الله عنه في قوله بحل استعمال الفخار المذكور لتكدر عيش الناس وضاع
مصالحهم وقد استنبطت لقوله رضي الله عنه في ذلك دليلا وهو ما ورد من تطهير
عصاة المسلمين بالنار ثم بعد ذلك يدخلون الجنة لان من شان الجنة ان لا يدخلها الا
المطهرون من الدنس الظاهر والباطن فكما كانت النار مطهرة من الذنوب المعنوية
فكذلك تكون مطهرة من الامور المحسوسة كالسرجين الذي يعجن به الفخار فان قلت
فما تقول فيما كان نجسا من اصل خلقته كعظام الخنزير وبقية اجزائه اذا احرقت
عند من يقول بنجاسته من اصل الخلقة ذاتا وصفة فالجواب مثل ذلك لا ينبغي
اضافته الى الامام لانه نظير اجسام الكفار فلا يطهر اجرامها بالنار كما سياتي بسطه
في توجيه اقوال العلماء ان شاء الله تعالى فعلم انه يجب على كل مكلف ان يشكر الله تعالى
على ايجاده مثل الامام ابي حنيفة رضي الله عنه في الدنيا ليوسع على الناس تبعا لتيسير
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وجميع ما سكت الشرع عليه لم يتعرض فيه لامر
ولا نهي فهو عافية وتوسعة على الامة فليس لاحد ان يحجر عليهم ثم ان وقع من عالم
تحجير في مثله فلذلك كان على سبيل التنزه والتورع كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم اهل
بيته عن لبس الحرير مع قوله صلى الله عليه وسلم بحله للاناث دون الرجال والعلماء
امناء الشارع على شريعته من بعده فلا اعتراض عليهم فيما بينوه للخلق واستنبطوه
من الشريعة لا سيما الامام ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه فلا ينبغي لاحد الاعتراض
عليه لكونه من اجل الائمة واقدمهم تدوينا للمذهب واقربهم سندا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومشاهدا لفعل اكابر التابعين من الائمة رضي الله عنهم اجمعين
وكيف يليق بامثالنا الاعتراض على امام عظيم اجمع الناس على جلالته وعلمه وورعه
وزهده وعفته وعبادته وكثرة مراقبته لله عز وجل وخوفه منه طول عمره ما هذا

والله

والله الا من عمي في البصيرة لان جميع ما وسع به علينا انما هو من توسعة الشارع
ثم تقيد بعدم تصريح الشريعة بذلك فهو من باب اجتهاده ونور قلبه والامام عظيم
يوسع علينا باجتهاده مع شدة ورعه واحتياطه في دينه وشدة احتياجنا الى ما وسع
به علينا كيف يسوغ لمسلم عاقل ان يعترض عليه مع شدة احتياجه هو الى ما وسع به
الامام عليه ليلا ونهارا فاعلم ذلك وتامله فانه نفيس واياك ان تخوض مع الخائضين
في اعراض الائمة بغير علم فتخسر في الدنيا والاخرة فان الامام رضي الله عنه كان متقيدا
بالكتاب والسنة متبريا من الراي كما قدمناه لك في عدة مواضع من هذا الكتاب ومن
فتش مذهبه رضي الله عنه وجد من اكثر المذاهب احتياطا في الدين ومن قال غير ذلك
فهو من جملة الجاهلين المتعصبين المنكرين على ائمة الهدى بفهمه السقيم وحاشا ذلك
الامام الاعظم من مثل ذلك حاشاه بل هو امام عظيم متبع الى انقراض المذاهب كلها
كما اخبرني به بعض اهل الكشف الصحيح واتباعه لم يزالوا في ازدياد كلما تقادم الزمان
وفي مزيد اعتقاد في اقواله واقوال اتباعه وقد قدمنا قول الامام الشافعي رضي الله
عنه الناس كلهم عيال في الفقه على ابي حنيفة رضي الله عنه وقد ضرب بعض اتباعه وحبس
ليتقلد لغيره من الائمة فلم يفعل وما ذاك الا والله سدى ولا عبرة بكلام بعض المتعصبين
في حق الامام ولا بقولهم انه من جملة اهل الراي بل كلام من يطعن في هذا الامام
عند المحققين يشبه الهذيانات ولو ان هذا الذي طعن في الامام كان له قدم في معرفة
منازع المجتهدين ودقة استنباطاتهم لعد الامام ابا حنيفة في ذلك على غالب
المجتهدين لخفاء مداركه رضي الله عنه واعلم يا اخي اني ما بسطت لك الكلام على مناقب
الامام ابي حنيفة اكثر من غيره الا رحمة بالمتهورين في دينهم من بعض طلبة المذاهب المخالفة
له فانهم ربما وقعوا في تضعيف شيء من اقواله لخفاء مداركه عليهم بخلاف غيره من الائمة
فان وجوه استنباطاتهم من الكتاب والسنة ظاهرة لغالب طلبة العلم الذين لهم قدم
في الفهم ومعرفة المدارك واذا بان لك تبري الائمة كلهم من الراي فاعمل بكل ما تجده من كلام
الائمة بانشراح صدر ولو لم تعرف مداركه فانه لا يخرج عن احدى مرتبتي الميزان ولا
تخلو ان تكون انت من اهل مرتبة منهما واياك والتوقف عن العمل بكلام احد من الائمة
المجتهدين رضي الله عنهم فانهم ما وضعوا اقوالهم الا بعد المبالغة في الاحتياط
لانفسهم وللامة ولا تفرق بين ائمة المذاهب بالجهل والتعصب فان من فرق بين الائمة
فكانه فرق بين الرسل كما مر بيانه في الفصول قبله وان تفاوت المقام فان العلماء ورثة

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)